

قيمة الغبطة



(الغبطة) هي موقف معاكس لـ(الحسد) سلبيّ والغبطة إيجابية، فهذه خطوة علاجية.

فإذا كان الحسد يعني تمذّي زوال نعمة الغير أو انتقالها إلى المحسود، فإنّ الغبطة هي تمذّي نعمة مماثلة للنعمة التي يتمتع بها المحسود. فأنت حينما تتمذّي أن تكون لديك نعمة أو خصلة أو مزية من مزايا الشخص الآخر، إنّما تضع في الحساب أنّك واسع الرزق واسع الرحمة، وكما أنعم على أخيك أو صديقك أو أي إنسان آخر بنعمة ما، فإنّه قادر على أن يمنّ عليك بمثلها، ولا يحدث ذلك نقصاً في خرائنه التي لا تنفذ، وهو عليه سهلٌ يسير.

بينما الأمر في الحسد مختلف، فأنت هناك تضيقّ واسعاً فتري أن رحمة الله ورزقه ولطفه وعنايته محصورة بالشخص المحسود، وحتى تنعم بها لابدّ من زوالها منه وانتقالها إليك، في حين أنّك تعرف أنّ نعم الله لا تعدّ ولا تحصى وهي تفوق الكمّ البشري الهائل منذ الخليقة وحتى النشور.

يقول رسول الله (ص): "قال الله عزّ وجلّ لموسى بن عمران: يا ابن عمران! لا تحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدنّ عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك، فإنّ الحاسد ساخط لنعمي، صادمٌ لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومَن يكُ كذلك فلست منه وليس مذّي".

ولذا فإنّ وعي المُغتبط أو الغابط الذي يتمذّي أن يكون له مثل ما لغيره دون أن يحيف أو يسيء الظن أو يمارس البغي، وعي إيمانيّ راجع يعبر عن نفس زكية، فهو لا يغلق الباب على نفسه في التمدّي على دائم الفضل على الناس والبأسط يديه بالعطاء، ولا ينظر نظراً شراً إلى ما لدى الآخرين من نعم، بل هو يتمذّي لهم أن ينعموا ويهنأوا فيما هم فيه، وأن يزيد الله عليهم من فضله وبركاته، ولذا تراه إذا رأى النعمة عند غيره ذكر الله، وقال: "بسم الله ما شاء الله" يريد بذلك أن إرادة الله هي الحاكمة ونحن لا نملك إلا التسليم لها.

إنّ المغتبط - على عكس الحاسد - يعيش النقاء الروحيّ الذي ينطلق من التعامل مع المُنعم مباشرة وليس مع المُنعم عليه، لأنّه يرى أنّ هذا - مهما كان غنياً - فهو فقير مثله ولولا فضل الله ونعمته عليه لما ظهرت عليه آثار النعمة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى

اللَّهِ وَاللَّهِ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (فاطر / 15).

ونخلص من ذلك، إلى أنَّ الإسلام يهتم بـ(الدافع) و(المحرِّض) و(المحرِّك) و(النيَّة) فالدافع في الحسد شرير سواء على مستوى التفكير أو مستوى التخطيط للتدمير، في حين أنَّ الدافع في (الغبطة) خير في التفكير وفي إرادة الخير للذات وللغير.